آداب التخاطب مع الخلق

في ضوء القرآن الكريم

إعداد

د/ صادق قاسم حسن مدد

الأستاذ المساعد بكلية الشريعة وأصول الدين

جامعة الملك خالد

Email: smadid@kku.edu.sa

" الباحث يود ان يشكر جامعة الملك خالد
على دعمها الفني والمالي لهذا البحث "

ملخص البحث:

آداب التخاطب مع الخلق في ضوء القرآن الكريم

إعداد الدكتور/ صادق قاسم حسن مدد

الأستاذ المساعد بكلية الشريعة وأصول الدين - جامعة الملك خالد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وبعد، فقد تضمن البحث آداب التخاطب في القرآن الكريم، وتأتي أهمية هذا الموضوع كونه جمع آداب التخاطب المستنبطة من القرآن الكريم، مع بيان الثمار المكتسبة من التحلي بها، وكذلك لكونه يشير إلى علاج مشكلة الغفلة عن آداب التخاطب في أوساط المسلمين اليوم.

يقع البحث في مقدمة وثلاثة مباحث تضمنت: آداب التخاطب مع الرسول ﷺ في حياته وبعد وفاته، وآداب التخاطب مع أهل الفضل، وآداب التخاطب مع عامة الناس، ثم ثمار التحلي بتلك الآداب، ومما خلص إليه البحث:

١-عناية الذكر الحكيم ببيان آداب التخاطب مع الخلق وأهميتها.

٢-التأدب بآداب التخاطب مع الرسول ﷺ بعد وفاته.

٣-كيفية التأدب في مخاطبة أهل الفضل وفي مقدمتهم: الوالدين، وولاة الأمور، والعلماء.

٤-بيان آداب التخاطب مع جميع الخلق: المسلم والكافر، والبر والفاجر.

وختم البحث بالتوصيات التالية:

١-تضمين آداب التخاطب والحوار في مناهج التعليم في المراحل الدراسية الأساسية والثانوية والجامعية.

٢- دعوة الخطباء والمرشدين لتبني توعية المجتمع بتلك الآداب .

٣- تطبيق آداب التخاطب عملياً من قبل: الدعاة والمعلمين والمرشدين والآباء؛ لإعطاء القدوة الحسنة للطلاب وبقية شرائح المجتمع.

الكلمات المفتاحية : الآداب – التخاطب – الخطباء – المرشدين.

Email: aelansary@kku.edu.sa

Abstract

Ethics of communication with people in the light of the Holy Quran

Dr. Sadiq Qasim Hassan

Assistant Professor at the Faculty of Sharia and Fundamentals of Religion King Khalid University

Praise be to Allah, and prayers and peace be upon the Messenger of Allah and his family and companions.

This research deals with the ethics of communication in the Holy Quran. The importance of this topic lies in that it has surveyed and catalogued the discourse etiquette as they are deduced from the Holy Quran. The benefits gained from abiding by these communication ethics have also been highlighted. This research is also important because it deals with the solution of the problem of not observing these ethics among the Muslims of today.

The research consists of an introduction and three sections which include: the ethics of communication with the Prophet in his life and after his death, the ethics of communication with people of respected positions in society, and the ethics of communication with the general public. Finally, the benefits of observing communication ethics are discussed. The major findings of this study are:

١. Care of Holy Quraan about manifesting the ethics of communication with people and the importance of these ethics.
٢. Observing the ethics of communication with the Prophet ﷺ after his death.
٣. Observing the ethics of communication while addressing the people with respected positions in society, specially parents, rulers, and scholars.
٤. Clarifying the ethics of communication with all people: Muslims and non-Muslims; believers and disbelievers.

The study concluded with the following recommendations:

١. Necessity of including the ethics of communication and dialogue in the curricula of education at the primary, secondary and university levels.
٢. Directing preachers to raise community awareness of these ethics in their speeches
٣. Actual practicing of these ethics of communication by: preachers, teachers, and parents to set good examples to students and the rest of the community.

Keywords: **Arts – Speech – Preachers – Guides**.

Email: aelansary@kku.edu.sa

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد . المبعوث رحمة للعالمين . وعلى آله وصحابته الراشدين ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين وبعد،
فقد أنزل الله كتابه الحكيم ليكون للناس إماماً ودليلاً ومرشداً، وهدىً وموعظةً وذكرى، قال سبحانه وتعالى:﴿ إِن هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾(الإسراء: ٩)، وقال سبحانه :﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: ٨٩).
ومن هداياته للناس دعوتهم لمحاسن الأخلاق ومعالي الأمور، في تعاملاتهم وجميع شؤونهم، ومن ذلك ما يدور بينهم من طرق التخاطب والحوار، وبين لنا أنّ عدم الالتزام بتلك الآداب من نزغ الشيطان الرجيم، قال تعالى:﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾(الإسراء: ٥٣).
والناظر في حال المسلمين اليوم يجد كثيراً من المنازعات والخلافات التي تنشأ بسبب عدم الالتزام بآداب التخاطب التي أرشد إليها الذكر الحكيم؛ ولأن التخاطب ضرورة من الضروريات التي لا غنى للناس عنها كان من المناسب جمع الآيات التي تضمنت آداب التخاطب في هذا البحث الموسوم: [بآداب التخاطب مع الخلق في ضوء القرآن الكريم] وبيان الآداب التي أرشدت إليها الآيات، مع الرجوع إلى السنة المطهرة وأقوال المفسرين لتوضيح ما يحتاج منها إلى ذلك، وأسأل المولى سبحانه العون والتوفيق والسداد، والحمد لله رب العالمين.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في الآتي:
١. ضرورة التحلي بآداب التخاطب، وإبراز تلك الآداب المأخوذة من كتاب الله تعالى وجمعها في مؤلف واحد يعين على الانتفاع بها بإذن الله تعالى.
٢. خطر عاقبة الإعراض عن تلك الآداب وعدم العمل بها.

٣. المشاركة في نشر هدايات القرآن الكريم.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في الغفلة عن آداب التخاطب في أوساط الأمة الإسلامية على كافة المستويات، مما أدى إلى حدوث كثير من المنازعات، وذلك نتيجةً حتميةً للبعد عن كتاب الله وما فيه من التعاليم والهدايات، وسيجيب هذا البحث بإذن الله تعالى عن التساؤلات التالية:

ماذا نعني بآداب التخاطب؟

ما هي الآيات التي أرشدت لتلك الآداب؟

هل أرشدت الآيات إلى التحلي بتلك الآداب مع المسلمين فقط؟ أم يدخل غير المسلمين فيها.

حدود البحث:

الآيات القرآنية التي أرشدت إلى آداب التخاطب بصريح العبارة أو فحواها.

منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث منهجين:

أولا: المنهج الاستقرائي وذلك بجمع الآيات القرآنية المتعلقة بموضوع البحث.

ثانيا: المنهج التحليلي بدراسة موطن الشاهد من الآيات وبيان تلك الآداب.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة على النحو الآتي:

المقدمة وفيها بيان أهمية الموضوع، ومشكلة البحث، وحدوده، والمنهج المتبع فيه، وخطة البحث.

التمهيد وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف آداب التخاطب.

المطلب الثاني: بيان أهمية التحلي بآداب التخاطب.

المبحث الأول: آداب التخاطب مع الرسول ﷺ في حياته وبعد وفاته وفيه مطلبان:
المطلب الأول: آداب التخاطب مع الرسول ﷺ في حياته.
المطلب الثاني: آداب التخاطب مع الرسول ﷺ بعد وفاته.

المبحث الثاني: آداب التخاطب مع أهل الفضل وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: آداب التخاطب مع الوالدين.
المطلب الثاني: آداب التخاطب مع ولاة الأمور.
المطلب الثالث: آداب التخاطب مع العلماء.

المبحث الثالث:
آداب التخاطب مع عامة الناس وثمار التحلي بتلك الآداب، وفيه مطلبان:
المطلب الأول: آداب التخاطب مع عامة الناس.
المطلب الثاني: ثمار التحلي بآداب التخاطب.
الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف آداب التخاطب

أولاً: تعريف الآداب لغة واصطلاحاً:

الآداب لغة:

الآداب: جمع أدب، وأديب جمعه: أدباء، يقال: أدَّبه إذا علمه، فتأدب واستأدب والأُدُبة بالضم، والمأدُبة: طعام صنع لدعوة أو عرس، وآدَبَ البلاد إيداباً: ملأها عدلاً[1].

ومن معاني الأدب: جمع الناس إلى الطعام، وهي المأدَبَة، والآدِبُ الداعي، والمآدب: جمع مأدَبَة[2].

والأدبُ: الذي يتأدب به الأديب من الناس، وسمي أديباً لأنه يأدُبُ الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح، وأصلُ الأدبِ: الدعاء، وروي عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدُبَةُ اللَّهِ فَتَعَلَّمُوا مِنْ مَأْدُبَتِهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ» [3] [4].

تعريف الأدب في الاصطلاح:

الأدب في الاصطلاح هو: مَلَكَةٌ تَعْصِمُ مَنْ قامت به عمَّا يَشِينُه، وقيل: الأدب رياضة النَّفس بالتعليم والتَّهذيب على ما ينبغي[5].

---

(١) القاموس المحيط، للفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت(١/٧٥).

(٢) (مقاييس اللغة :)، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م(١/٧٤).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ -١٩٩٠م، من حديث عبد الله بن مسعود، برقم(٢٠٤٠) (١/٧٤١).

(٤) لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى(١/٢٦٠).

(٥) تاج العروس، لمرتضى الزبيدي، لمرتضى الزبيدي، دار الهداية (٢/١٢).

وقيل: (الأدب هو اجتماع خصال الخير في العبد) [1].

وقيل في تعريفه أيضاً: (الأدب استعمال ما يحمد قولاً وفعلا) [2].

ثانياً: تعريف التخاطب:

التخاطب مأخوذ من الخطاب، والخطاب لغة: هو مصدر للفعل خاطب فيقال: (خاطبَ يُخاطبُ مخاطبةً وخطاباً)، وهو مشتق من الخَطبِ أي: الأمر أو الشأن، صغر أو عظم، ويقال هذا خطب جليل، وخطب يسير، والخطب: الأمر الذي تقع فيه المخاطبة، ومنه قولهم: جلَّ الخطبُ أي: عَظُمَ الأمر والشأن، والخطاب الكلام والجدال والمحاورة، وخاطبه وجه إليه كلاماً، وفي التنزيل العزيز:

﴿ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾(ص: ٢٣) [3].

ومن التعريفات السابقة نجد أن الأدب من حيث الأصل اللغوي: الدعوة إلى مأدبة الطعام، واستعمل بمعنى الدعوة إلى المحامد ومحاسن الأخلاق كما يتضح من التعريف الاصطلاحي للأدب، والتخاطب يراد به التكلم والتحدث مع الآخرين.

وعليه: فيمكننا تعريف آداب التخاطب بأنها: جملة من الآداب والمحامد التي أرشد إليها القرآن الكريم، والتي ينبغي مراعاتها عند التخاطب مع الغير.

---

(١) مدارج السالكين، لابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، (١٣٩٣هـ -١٩٧٣م) (٣٧٥/٢).

(٢) تاج العروس، لمحمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (١٢/٢).

(٣) لسان العرب، لابن منظور، (١/ ٣٦٠)، والمعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، (٢٤٣/١).

المطلب الثاني: بيان أهمية التحلي بآداب التخاطب:

من خلال النظر والتدبر في كتاب الله يتضح جلياً أهمية التحلي بآدب التخاطب،

فقد جاء الأمر بحسن التخاطب مع الناس في قوله تعالى﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ (البقرة:٨٣) قبل الأمر بالصلاة والزكاة وفي ذلك دليلٌ على أهمية حسن التخاطب مع جميع الناس، ومن أهم صفات عباد الرحمن: حسن التخاطب مع من خالفهم وجهل عليهم.

قال سبحانه:﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾(الفرقان: ٦٣).

تضمنت الآية الكريمة مدحاً وثناءً على عباد الرحمن، وإشارةً لصفاتهم الحميدة وسجاياهم النبيلة، وفي ذلك إرشادٌ إلى التأدب بآدابهم، ومنها حسن التخاطب مع الآخرين، ولو كان في تخاطبهم جهالة وإيذاء، فعباد الرحمن يترفعون عن مجاراتهم في جهالاتهم، وقولهم: سلاماً فيه معنى الإعراض عن جهالاتهم.

قال الإمام ابن كثير [1] في تفسيرها: أي: (إذا سفه عليهم الجهال بالسيئ، لم يقابلوهم عليه بمثله، بل يعفون ويصفحون، ولا يقولون إلا خيراً، كما كان رسول الله ﷺ «لا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً» [2])[3].

ومن أهميتها: أنها من أسباب الفوز يوم القيامة والقرب من رسول الله ﷺ كما في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إنَّ من

(١) هو: الإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير بن ضوء الدمشقي الشافعي ولد ببصرى سنة ٧٠١ هـ وتوفي سنة ٧٧٤هـ. [ذيل طبقات الحفاظ، للسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، (٣٦١/١)].

(٢) المستدرك على الصحيحين، للحاكم، برقم(٦٥٤٧)، (٧٠٠/٣)، وصحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، برقم (٢٨٨)، (٥٢٢/١).

(٣) تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى(١٤١٥هـ - ١٩٩٤م) (٣٣٧/٣).

أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، وإنَّ من أبغضكم إلي وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون (١) والمتشدقون(٢) والمتفيهقون(٣) » قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارين والمتشدقين فما المتفيهقون؟ قال: «المتكبرون»)(٤).

وهذا الحديث يبين خطورة إساءة التخاطب مع الآخرين، وعقوبة من يسيء مخاطبة الآخرين، والأدلة كثيرة متوافرة على أهمية التحلي بآداب التخاطب، ومن ناحية أخرى يستدل على أهمية التحلي بآداب التخاطب بالآثار المترتبة عليها والثمار الحاصلة من لزومها، وسيأتي ذكرها في نهاية البحث بمشيئة الله تعالى.

(١) الثرثارون: الذين يكثرون الكلام بما لا فائدة فيه.

(٢) المتشدق: هو الذي يتكلم بملء شدقيه تكبراً على الناس.

(٣) المتفيهق: أصله من الفهق وهو الامتلاء، وهو بمعنى المتشدق لأنه الذي يملأ فمه بالكلام ويتوسع فيه، إظهاراً لفصاحته وفضله، واستعلاء على غيره قال المنذري في الترغيب: الثرثار هو الكثير الكلام تكلفا، والمتشدق هو المتكلم بملء شدقه تفاصحا وتعظيما لكلامه ، والمتفيهق أصله من الفهق وهو الامتلاء، وهو بمعنى المتشدق لأنه الذي يملأ فمه بالكلام ويتوسع فيه إظهارا لفصاحته وفضله واستعلاء على غيره، ولهذا فسره النبي صلى الله عليه وسلم بالمتكبر[تحفة الاحوذي، لمحمد عبد الرحمن المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت،(١٣٦/٦).

(٤) سنن الترمذي، لأبي عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، برقم(٢٠١٨)، (٣٧٠/٤).

المبحث الأول

آداب التخاطب مع الرسول ﷺ في حياته وبعد وفاته

وفيه مطلبان

المطلب الأول

آداب التخاطب مع الرسول ﷺ في حياته

رسول الله ﷺ هو الرحمة المهداة من الله تعالى للعالمين﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾(الأنبياء: ١٠٧)، وهو البشير النذير والسراج المنير:﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ (الأحزاب: ٤٥-٤٦).

ولذلك أمر الله سبحانه بإجلاله وتعظيمه والتأدب معه فقال سبحانه:﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٨) لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾(الفتح: ٨-٩).

قال الإمام ابن جرير الطبري[١] "معنى التعزير في هذا الموضع: التقوية بالنُّصرة والمعونة، ولا يكون ذلك إلا بالطاعة والتعظيم والإجلال"[٢].

وفي الآية الكريمة الأمر بتعظيمه والتأدب معه إجمالاً، ومن آداب التخاطب معه صلوات ربي وسلامه عليه:

أولاً: التسليم بما أمر وعدم التقدم بين يديه بأي أمر من الأمور لقوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

(١) هو: أبو جعفر محمد جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري ، جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد، ولد عام ٢٢٤هـ، وتوفي عام ٣١٠هـ. [البداية والنهاية، لابن كثير، ١١/١٤٥].

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ، (٢٦/٧٥).

﴿(الحجرات: ١)، وهذا متضمن للأدب مع الله تعالى، ومع رسول الله ﷺ فقد أمر الله عباده المؤمنين، بما يقتضيه الإيمان بالله وبرسوله، من امتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه،

وأن يكونوا سائرين خلف أوامر الله، متبعين لسنة رسول الله ﷺ في جميع أمورهم، وأن لا يتقدموا بين يدي الله ورسوله، ولا يقولوا، حتى يقول، ولا يأمروا، حتى يأمر، فإنّ هذا، حقيقة الأدب الواجب، مع الله ورسوله، وهو عنوان سعادة العبد وفلاحه)[1].

ثانياً: خفض الصوت عند مخاطبته:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (الحجرات: ٢).

قال عبد الله ابن الزبير[2] بعد ذكر سبب نزول الآية[3]: "فما كان عمر يُسمِع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه؛ لشدة خفضه لصوته عند النبي بعد

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، (٧٩٩/١).

(٢) هو: عبد الله بن الزّبير بن العوّام بن خويلد بن أسد بن عبد العُزَّى القرشي الأسديّ، أمُّه أسماء بنت أبي بكر الصديق. وُلد عام الهجرة، وهو أول مولود وُلد للمهاجرين بعد الهجرة، وحنّكه وسماه النبيُّ ﷺ ، حَفِظ عن النبيّ ﷺ وهو صغير، وحدّث عنه بجملةٍ من الأحاديث، وعن أبيه، وعن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وخالته عائشة، وغيرهم، ولد في السنة الأولى من الهجرة، وقتل عام٧٣هـ[أسد الغابة، لابن الجزري، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، (٢٤٥/٣)..

(٣) أخرج البخاري في صحيحه عن عبد الله بن الزبير أنه قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ فقال أبو بكر: أمِّر القعقاع بن معبد وقال عمر: أمّر الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر: ما أردتَ إلا خلافي! فقال عمر: ما أردتُّ خلافك؛ فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فأنزل الله في ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾[الحجرات: ٢]، صحيح

نزول هذه الآية"[1].

وقال الصديق بعد نزولها: "والذي أنزل عليك الكتاب يا رسول الله لا أكلمك إلا كأخي السرار [2] **حتى ألقى الله عز وجل"**[3].

ويفهم من الروايتين مسارعة الصحابة رضوان الله عليهم للعمل بما أمروا به من التأدب عند مخاطبة الرسول ﷺ**، والخطاب في الآية عامٌ لجميع المؤمنين وليست قاصرة على سبب نزولها فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.**

قال ابن كثير: (هذا أدبٌ ثانٍ أدب الله به المؤمنين ألا يرفعوا أصواتهم بين يدي النبي ﷺ **فوق صوته ...ثم نهى عن الجهر له بالقول كما يجهر الرجل لمخاطبة من عداه، بل يخاطب بسكينة ووقار وتعظيم؛ ولهذا قال:﴿ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ﴾، وقوله عز وجل:﴿ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾(الحجرات:٢) أي: إنما نهيناكم عن رفع الصوت عنده خشية أن يغضب من ذلك، فيغضب الله لغضبه، فيحبط الله عمل من أغضبه وهو لا يدري"**[4].

البخاري، = =محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير واليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، باب: وفد بني تميم، برقم(٤١٠٩)، ١٥٨٧/٤.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، من حديث ابن أبي مليكة، باب: (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي)، برقم(٤٥٦٤)، ١٨٣٣/٤.

(٢) السِّرَار: بِكَسْرِ السِّين وَتخفيف الرَّاء أَيْ الكلام السر وَمِنْهُ الْمُسَارَرَة وقوله: كأخي السِّرَار أي: كصاحب السر، أي يخفض صوته ويبالغ حتى يحتاج إلى استفهامه عن بعض كلامه [فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ٥٩١/٨].

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب التفسير، برقم (٣٧٧٢) (٢٦٣/٣) ، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ، (٢٠٨/٤)

وقال الشيخ السعدي[1]: "وهذا أدبٌ مع رسول الله ﷺ في خطابه، أي: لا يرفع المخاطِب له، صوتَه، فوق صوتِه، ولا يجهر له بالقول، بل يغض الصوت، ويخاطبه بأدب ولين، وتعظيم وتكريم، وإجلال وإعظام، ولا يكون الرسول كأحدهم، بل يميزوه في خطابهم كما تميز عن غيره في وجوب حقه على الأمة"[2].

ثالثاً: مناداته بصفة الرسالة والنبوة وعدم مناداته باسمه:

وهذا الأدب مأخوذ من قوله تعالى:﴿ لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ (النور:٦٣)

أورد ابن كثير قول جماعة من المفسرين أنّ الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يقولون: (يا محمد، يا أبا القاسم، فنهاهم الله عز وجل، عن ذلك، إعظاماً لنبيه، صلوات الله وسلامه عليه، قال: فقولوا: يا نبي الله، يا رسول الله،... إلى أن قال: فهذا كله من باب الأدب في مخاطبة النبي ﷺ والكلام معه وعنده، كما أمروا بتقديم الصدقة قبل مناجاته"[3].

---

(١) الشيخ العلامة: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي من قبيلة تميم، ولد في بلدة عنيزة في القصيم، وذلك بتاريخ ١٢ محرم عام ١٣٠٧هـ، له العديد من المؤلفات منها التفسير المعروف بتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، وغيره من المؤلفات في الفنون المختلفة –توفي رحمه الله تعالى عام ١٣٧٦ هـ في عنيزة. انظر:علماء نجد خلال ثمانية قرون لعبد الله بن عبد الرحمن آل بسام الطبعة الثانية، دار العاصمة الرياض ١٤١٩ هـ، (٢١٨/٣).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن السعدي، (٧٩٩/١).

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣١٨/٣)

وذهب الطاهر بن عاشور[1] إلى أن الآية تضمنت أدباً آخر وهو: التأدب في الهيئة عند مناداته ﷺ فقال: "نُهوا عن أن يدْعو الرسول عند مناداته كما يدعو بعضهم بعضاً في اللفظ أو في الهيئة، ...وأما في الهيئة فبأن لا يدعُوه من وراء الحجرات، وأن لا يُلحوا في دعائه إذا لم يخرج إليهم، كما جاء في سورة الحجرات، لأن ذلك كله من الجلافة التي لا تليق بعظمة قدر الرسول ﷺ فهذا أدب للمسلمين وسدّ لأبواب الأذى عن المنافقين، وإذا كانت الآية تحتمل ألفاظها هذا المعنى صح للمتدبر أن ينتزع هذا المعنى منها"[2].

رابعاً: عدم الإثقال عليه والإكثار من الكلام فيما لا طائل منه:

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(المجادلة: ١٢). هذه الآية منسوخة كما هو معلوم، ولكنَّ الغرض من نزولها تحقق بحصول التخفيف عن رسوله ﷺ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (وذاك أنَّ المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه، فأراد الله أن يخفف عن نبيه؛ فلما قال ذلك صبر كثير من الناس، وكفوا عن المسألة)[3]

خامساً: الرضى والتسليم بحكمه.

قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾(النساء: ٦٥).

---

(١) هو: محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه، مولده ووفاته ودراسته بها، عين عام ١٩٣٢م شيخاً للإسلام، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة، له مصنفات مطبوعة، من أشهرها (مقاصد الشريعة الاسلامية) و (أصول النظام الاجتماعي في الاسلام) و (التحرير والتنوير) في تفسير القرآن، ولد عام ١٨٧٩م، وتوفي عام ١٩٧٣م. [الأعلام، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢م، ١٧٤/٦].

(٢) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، . بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م، (٢٤٨/١٨)

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣٢٨/٤)

قال ابن كثير: "يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول ﷺ في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنا وظاهرا ؛ ولهذا قال: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ أي: إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجاً مما حكمت به، وينقادون له في الظاهر والباطن، ويسلمون بالقول وبالفعل تسليماً كلياً من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة)[1].

وسبب نزول هذه الآية يوضح أنَ من لم يتأدب في تحاكمه إلى الرسول ﷺ ويقبل بحكمه، فإنه يستحق التغليظ، وعدم التسامح معه، فقد أخرج البخاري في صحيحه عن عروة بن الزبير قال: (خاصم الزبير رجلاً في شريج من الحرة، فقال النبي ﷺ «اسقِ يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك» فقال الأنصاري: يا رسول الله، أن كان ابن عمتك؟ فتلون وجه رسول الله ﷺ ثم قال: «اسقِ يا زبير، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر، ثم أرسل الماء إلى جارك» [2].

قال ابن كثير: "فاستوعى [3] النبي ﷺ الله عليه وسلم للزبير حقه في صريح الحكم، حين أحفظه الأنصاري، وكان أشار عليهما بأمر لهما فيه سعة قال الزبير: "فما أحسب هذه الآية إلا نزلت في ذلك") [4].

وخلاصة القول أنَ أهم آداب التخاطب مع الرسول ﷺ التي دلت عليها آيات الذكر الحكيم هي:

عدم التقدم بين يديه بأمر من الأمور، وعدم رفع الصوت عند مخاطبته، ومناداته بصفة الرسالة والنبوة وعدم مناداته باسمه، وعدم الإثقال عليه والإكثار من الكلام فيما لا طائل منه، والرضى والتسليم بحكمه ﷺ ظاهراً وباطناً.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/٥٢١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشرب والمساقاة، باب سَكْرِ الأنهار، رقم (٤٣٠٩)، ٨٣٢/٢، ومسلم في صحيحه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، كتاب الْفَضَائِلِ، بَابُ وُجُوبِ اتِّبَاعِهِ ﷺ حديث رقم(٢٣٥٧)، ١٨٢٩/٤.

(٣) استوعى أي: استوفى، وهو من الوعي كأنه جمعه له في وعائه.

(٤) تفسير القرآن العظيم (١/٥٢١).

المطلب الثاني:

آداب التخاطب مع الرسول ﷺ بعد وفاته

من إكرام الله تعالى لرسوله ﷺ أن جعل له من الخصائص والمكارم ما ليس لغيره من العالمين ومن ذلك أنه رفع ذكره في كل حين فقال سبحانه وتعالى﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ (الشرح: ٤).

قال العلامة الشوكاني(١): "وبالجملة فقد ملأ ذكره الجليل السماوات والأرضين، وجعل الله له من لسان الصدق والذكر الحسن والثناء الصالح ما لم يجعله لأحد من عباده ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (الحديد: ٢١)" (٢).

وهذه المنقبة العظيمة تقتضي التأدب معه عند ذكره، ومدارسة سنته حتى بعد مماته صلوات ربي وسلامه عليه، وكذلك في مسجده وعند الصلاة والسلام عليه، وكلام العلماء من المتقدمين والمتأخرين مستفيض في تقرير تلك الآداب.

قال القاضي أبو بكر بن العربي(٣): "حرمة النبي ﷺ ميتاً كحرمته حياً، وكلامه المأثور بعد موته في الرقعة مثال كلامه المسموع من لفظه، فإذا قرئ كلامه،

---

(١) هو: الإمام العلامة محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ولد في بلدة هجرة شوكان إحدى قرى خولان من بلاد اليمن سنة١١٧٣ هـ وتوفي سنة ١٢٥٠ هـ، قاضي قضاة أهل السنة والجماعة، له تصانيف ومؤلفات تجاوزت المائة في مختلف الفنون والعلوم الشرعية. انظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن الرابع، للشوكاني، مطبعة دار السعادة، القاهرة، ١٣٤٨هـ،(٢/ ٢١٤)، والإمام الشوكاني حياته وفكره لعبد الغني قاسم الشرجبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٠٨هـ – ١٩٨٨م، ص١٥١.

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الفكر، بيروت، (٤٦٢/٥).

(٣) هو: أبو بكر بن العربي محمد بن عبد الله المغربي المعافري الأندلسي الإشبيلي الحافظ المشهور، إمام الأصول والفروع، ولد عام ٤٦٨هـ، وتوفي عام ٥٤٣هـ.[نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ، ٢٦/٢].

وجب على كل حاضر ألا يرفع صوته عليه، ولا يعرض عنه، كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند تلفظه به"[1].

قال الشنقيطي[2] في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾(الحجرات: ٢): "ومعلوم أن حرمة النبي ﷺ بعد وفاته كحرمته في أيام حياته، وبه تعلم أن ما جرت به العادة اليوم من اجتماع الناس قرب قبره ﷺ وهم في صخب ولغط وأصواتهم مرتفعة ارتفاعاً مزعجاً كله لا يجوز، ولا يليق، وإقرارهم عليه من المنكر"[3].

وكذلك الحذر من المغالاة فيه مثل ما يفعل بعض الزائرين لقبره، الذين يغالون فيه ويتوجهون إلى القبر عند دعائهم واستدبار القبلة، بل ويطلب منه بعض الجهال قضاء حوائجهم وكل ذلك مخالف لآداب التخاطب معه ﷺ بل مخالف لسنته وهديه.

وتقدم الكلام على التسليم والانقياد لحكمه في حياته صلوات ربي وسلامه عليه، وكذلك الحال بعد مماته ويكون الانقياد لسنته والعمل بما جاء فيها من الأحكام والهدى.

قال تعالى:﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ

---

(١) أحكام القرآن، لابن العربي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٦/٤.

(٢) هو الشيخ العلامة: محمد الأمين بن محمد بن أحمد المختار الشنقيطي، ويرجع نسبه إلى حمير، نزحت قبيلته إلى بلاد شنقيط وحافظت على نسبها وعروبتها، ولد عام ١٣٢٥هـ في مديرية كيفار من أعمال شنقيط دولة موريتانيا، قدم لحج بيت الله الحرام عام ١٣٦٥هـ، ولغزارة علمه ومكانته اشتغل بالتدريس في الحرمين الشريفين وغيرهما من الجامعات والمعاهد، وصار عضوا في هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، له مؤلفات كثيرة نافعة في التفسير والعقيدة والأصول، و أهم كتبه تفسير (أضواء البيان) توفي في شهر ذي الحجة من عام ١٣٩٣هـ في مكة المكرمة ودفن فيها. انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون لعبد الله بن عبد الرحمن آل بسام الطبعة الثانية، دار العاصمة الرياض ١٤١٩ هـ، (٣٧١/٦).

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين الشنقيطي، تحقيق: مركز البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ٤٠٣/٧.

الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾(الأحزاب: ٣٦)

قال ابن كثير رحمه الله: (فهذه الآية عامة في جميع الأمور، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء، فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد هاهنا، ولا رأي ولا قول كما قال تبارك وتعالى:﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (النساء:٦٥) [(١)]، ومن أهم الآداب: الصلاة والسلام عليه عند ذكره لقوله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (الأحزاب :٥٦)

وفي السنة المطهرة الكثير من الأحاديث التي تبين أهمية الصلاة والسلام عليه في كل حين، نقتطف منها ما تحصل به الفائدة بإذن الله تعالى: عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع رسول اللَّهِ ﷺ يقول: «من صلي عليّ صلاة صلى اللَّه عليه بها عشرا»[(٢)]، وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول اللَّهِ ﷺ قال: «أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة»[(٣)].

ومن هذه الروايات وغيرها يتبين أهمية وفضل الصلاة والسلام على رسول الله، وأنَّ المداومة عليها من الأدب معه ﷺ.

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣/٤٩١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسأل الله له الوسيلة، برقم(٣٨٤) ١/٢٨٨.

(٣) أخرجه التِّرمِذِيُّ في سننه من حديث عبد الله بن مسعود، باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وقال حديثٌ حسن، برقم(٩١١)، ٢، /٣٥٤.

المبحث الثاني: آداب التخاطب مع أصحاب الفضل

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول

آداب التخاطب مع الوالدين

جاء الأمر بالإحسان إلى الوالدين بعد الأمر بطاعة الله وتوحيده في مواطن متعددة في الذكر الحكيم وفي هذا البحث نقف مع جانب من جوانب الإحسان إليهما وهو والتأدب عند مخاطبتهما، ومن الآيات التي أرشدت إلى ذلك قوله تعالى:(وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾

(الإسراء: ٢٣)

حرَّم الله تعالى على الأبناء أن يواجهوا الوالدين بما لا يليق بهما من سوء الخطاب ولو بأدنى كلمة يفهم منها التضجر والتبرم منهما وهي كلمة "أف".

قال ابن كثير:(لا تسمعهما قولاً سيئاً حتى ولا التأفيف الذي هو أدنى مراتب القول السيئ، ولما نهاه عن القول القبيح والفعل القبيح أمره بالقول الحسن والفعل الحسن فقال: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ أي: ليناً طيباً حسناً بتأدب وتوقير وتعظيم)[1].

وأخذ بعض المفسرين من الآية أنّ من أدب التخاطب مع الوالدين ألاّ يناديهما باسميهما ولا بكنيتهما قال القرطبي: "﴿ وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾أي: ليناً لطيفاً، مثل: يا أبتاه ويا أماه، من غير أن يسميهما أو يكنيهما"[2].

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٣/٣٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، دار الشعب، القاهرة، (١٠/٢٤٣).

وقال تعالى:﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء :٢٤)

ويظهر تطبيق هذا الأدب العظيم في تلطف ورفق إبراهيم عليه السلام مع أبيه في قوله تعالى:﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾ (مريم: ٤١ – ٤٥).

فنداؤه لأبيه كان فى غاية اللطف حيث دعاه بصفة الأبوة، محاولاً استمالة قلبه للحق، وتكرار النداء بقوله: "يا أبتِ" أربع مرات تكريراً اقتضاه الحال؛ لترغيبه بقبول الموعظة، وناداه بوصف الأبوة دون أن يذكر اسمه فيه إشعار بزيادة فى احترامه [(١)].

مع أنَّ خطاب أبيه كان فيه غلظة وجفاء:﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾(مريم: ٤٦)، فلم يقل: يا بُنى، بل قال: يا إبراهيم، وأمره بأن يهجره ويذهب بعيداً عنه، ومع ذلك استمر إبراهيم عليه السلام فى حسن تخاطبه مع والده فقال:﴿ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾. (مريم: ٤٦)، وكذلك كان إسماعيل عليه السلام مع الده، قال تعالى:﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ (الصافات :١٠٢)، فمع شدة الابتلاء عند إخباره بأمر الله تعالى بذبحه إلا أنَّ رده كان في غاية اللطف والأدب والطاعة والامتثال.

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٣/٢٠، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم، لسيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة الطبعة الأولى [١٩٩٧ / ١٩٩٨م، ٩/٤١.

وخلاصة القول أنَّ من حقوق الآباء على الأبناء حسن مخاطبتهم بأحسن الألفاظ واللين من الأقوال، وعدم رفع الصوت عند مخاطبتهم، وعدم التضجر والتأفف عند مخاطيتهما، ومناداتهما بصفة الأبوة والأمومة وليس بالاسم المجرد، والمبادرة لتلبية أوامرهما والتسليم والانقياد لمطالبهما المشروعة.

المطلب الثاني

آداب التخاطب مع ولاة الأمور

في هذا المطلب بيان لآداب التخاطب مع ولاة الأمور وكل من له سلطان وولاية شرعية، وأهم الآداب التي ينبغي مراعاتها عند مخاطبتهم:

١. إلانة القول عند مناصحتهم:

ولنتدبر قول الله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام:﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ (طه: ٤٣،٤٤)

يتضح من الآيتين الكريمتين طغيان فرعون وعتوه وتجبره، ومع ذلك أمر الله سبحانه وتعالى نبييه بالذهاب إليه لدعوته، وأمرهما بحسن التخاطب معه وذلك بأن يقولا له قولاً ليناً فهو أدعى للقبول والاستجابة.

قال الشوكاني: "ثم أمرهما سبحانه بإلانة القول له لما في ذلك من التأثير في الإجابة، فإن التخشين بادئ بدء يكون من أعظم أسباب النفور والتصلب في الكفر، والقول اللين هو الذي لا خشونة فيه، يقال: لان الشيء يلين ليناً، والمراد تركهما للتعنيف"[(١)].

(١) فتح القدير، للشوكاني، (٣/٣٦٦).

وقال أبو بكر الجزائري عند تفسير هذه الآية: "وعلمهما أسلوب الدعوة فقال لهما:﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا ﴾أي خالياً من الغلظة والجفاء وسوء الإلقاء"(١).

ويتضح المراد بالقول اللين من قوله تعالى:

﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ (١٨) وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴾ (النازعات: ١٨-١٩) فمخاطبته بهذا الأسلوب فيه من لطف القول وسهولته ما لا يخفى على المتأمل، فأمره بعرض الدعوة عليه عرضاً فيه ترغيب بقوله "هَل لَّكَ" تدل على العرض والمشاورة، التي لا ينفر منها أحد، ودعاه إلى التزكي والتطهر من الأدناس، التي أصلها، التطهر من الشرك، الذي يقبله كل عقل سليم، ولم يقل "أزكيك" بل قال: "تَزَكَّىٰ "(٢).

فإذا كان هذا الحال في التخاطب مع فرعون الذي طغى وادّعى الربوبية﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴾ (النازعات:٢٤) فمن باب أولى التأدب والتلطف مع الحكام وولاة الأمور من المسلمين.

قال القرطبي:
(وهذا كله حضٌ على مكارم الأخلاق، فينبغي للإنسان أن يكون قوله للناس لينا ووجهه منبسطاً طلقاً مع البر والفاجر، والسني والمبتدع، من غير مداهنة، ومن غير أن يتكلم معه بكلام يظن أنه يرضيَ مذهبه، لأن الله تعالى قال لموسى وهارون:﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾فالقائل ليس بأفضل من موسى وهارون، والفاجر ليس بأخبث من فرعون، وقد أمرهما الله تعالى باللين معه"(٣).

ولسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى، كلاماً نفيساً رأيتُ أنَّ من المناسب إيراده بتمامه ليُنْتفع به في هذا المقام: (وقال لموسى وهارون عليهما الصلاة والسلام لما بعثهما إلى فرعون : ﴿فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ وهذا توجيه من الله سبحانه لرسوليه موسى وهارون لما بعثهما إلى

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لأبي بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، (٣ /٣٥١).
(٢) تيسير الكريم الرحمن (١/٥٠٦)
(٣) الجامع لأحكام، القرآن القرطبي (٢/ ١٦)

فرعون؛ ليتأسى بذلك الدعاة ويتخلقوا به في دعوتهم إلى الله لا سيما مع الرؤساء والعظماء، ولا سيما في عصرنا هذا، فإن الحكمة والأسلوب الحسن والرفق من أهم المهمات في كل وقت وفي هذا الوقت بوجه أخص، لكثرة الجهل وغلبة الهوى على أكثر الخلق، وبالشدة ينفر منك الناس ويبتعدون عنك ولا يقبل الحق إلا من رحم الله، وقد ذكر بعض المؤرخين أن أحد الدعاة قابل بعض الحكام من بني العباس فقال له : إني قائل لك ومشدد عليك ، فقال له الخليفة : لا يا أخي أرفق بي فلستُ بشرٍّ من فرعون ولستَ خيرًا من موسى ، وقد قال الله لموسى وهارون : ﴿فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى: فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يخشى ﴾ (طه: ٤٣). [١]

٢. الرجوع في الأمور الهامة إليهم وعدم الذهاب وراء الإشاعات لا سيما عند الخوف والحروب:

قال تعالى:﴿ وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ (النساء: ٨٣).

استدل العلماء بهذه الآية الكريمة على عدم إذاعة الأخبار خصوصاً في حالة الحرب، وردها لولاة الأمور وأهل الاستنباط لكيلا يقع ضرر من إذاعتها وإفشائها، وفي ذلك يقول ابن كثير: "﴿ وَإِذا جاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذاعُوا بِهِ﴾ إنكار على من يبادر إلى الأمور قبل تحققها فيخبر بها ويفشيها وينشرها، وقد لا يكون لها صحة" [٢].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع» [٣]

---

(١)من تفريغ محاضرة بعنوان :حكمة الداعي وادب المدعو- ألقاها سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز في مسجد الفقيه بمكة المكرمة في رجب عام ١٤١٢هـ
www.albaidha.net/vb٤/showthread.php?t=١١٨٢

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/٥٣٠)

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، باب: النهي عن الحديث بكل ما سمع، برقم(٥) (١/١٠).

فإذاعة الأخبار بدون تثبت تؤدي إلى أعظم المفاسد والشرور، لأنها إن كانت تتعلق بالأمن فإنها قد تحدث لوناً من التراخي وعدم أخذ الحذر، وإن كانت تتعلق بالخوف فإنها قد تحدث بلبلة واضطراباً في المجتمع، والمجتمع الذي يكثر فيه العقلاء الفطناء هو الذي تقل فيه إذاعة الأخبار إلا من مصادرها الموثوقة، وهو الذي يرجع أفراده في معرفة الحقائق إلى ولاة الأمر وأهل الاختصاص، ويجد المتأمل أنَّ الآية الكريمة تغرس في نفوس المؤمنين أسمى ألوان الإخلاص لدينهم ودولتهم وقيادتهم، فهي في مطلعها تنكر عليهم إذاعة الأخبار بدون تحقق من صدقها ومن فائدتها وتأمرهم بأن يرجعوا إلى الحكام العادلين، والعلماء المخلصين الذين يعرفون الأمور على وجهها ليسألوهم عما يريدون معرفته(١).

والمتأمل في الحوار الذي جرى بين ملكة سبأ، والملأ من قومها يجد حسن تخاطبها معهم عندما شاورتهم في كتاب سليمان عليه السلام فقالت:﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا المَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴾(النمل: ٣٢)، وكان جوابهم أيضاً في غاية الأدب :﴿ قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾(النمل: ٣٣).

فأجابوها بما أقرَّ عينها، ثم فوضوا الأمر إليها لعلمهم بصحة رأيها وقوة عقلها فقالوا: والأمر إليك: تأملي ماذا تأمرينا به فنحن سامعون لأمرك مطيعون له(٢).

٣-تسميتهم ومخاطبتهم بالمتعارف عليه من ألقابهم:

﴿ قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾(يوسف: ٧٨)

مما يستفاد من هذه الآية الكريمة التأدب في خطاب الملوك والحكام كما صنع إخوة يوسف عند دخولهم عليه قبل أن يعرفوه، فمناداتهم له بـ(يا أيها العزيز) فيه

(١) انظر التفسير الوسيط، لسيد طنطاوي، ٢٣٨/٣.
(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ١٩٥/١٣، وفتح القدير، للشوكاني، ١٣٧/٤.

التعظيم والخطاب بما يليق بالأكابر وهو أدعى أن يجيبهم إلى ما سألوه، وإلى هذا ذهب غير واحد من المفسرين[1].

وخلاصة القول أنّ حسن مخاطبة ولاة الأمور وإلانة القول لهم بالنصيحة من الآداب التي دلَّ عليها القرآن الكريم، وكذلك تسميتهم بالأسماء والألقاب المتعارف عليها والتي ليس فيها محظور شرعي، وغيرها من الآداب التي سيأتي بيانها في المبحث الثالث بمشيئة الله تعالى.

(١) انظر: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، لشمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة، ١٢٨٥هـ:(٢/ ١٠٣)، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تأليف: العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي بيروت، (١٣ / ٤٥).

المطلب الثالث: آداب التخاطب مع العلماء.

للعلماء مكانتهم ومنزلتهم عند الله تعالى وقد بين ذلك في محكم كتابه فقال سبحانه:﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾(المجادلة:١١) ، وهم ورثة الأنبياء كما جاء في السنة المطهرة من حديث أبي الدرداء –رضي الله عنه– عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: « من سلك طريقًا يطلبُ فيه علمًا، سلك اللهُ به طريقًا من طُرُقِ الجنَّةِ، وإنَّ المَلائكةَ لَتضعُ أجنحتَها لطالبِ العلمِ رضًا بما يصنع، وإنَّ العالمَ لَيستغفرُ له مَن في السمواتِ، ومن في الأرضِ، والحيتانُ في جوفِ الماءِ، وإنّ فضلَ العالمِ على العابدِ كفضلِ القمرِ ليلةَ البدرِ على سائرِ الكواكبِ، وإنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياءِ، وإنَّ الأنبياءَ، لم يُوَرِّثوا دينارًا، ولا درهمًا، إنما وَرّثوا العلمَ، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافرٍ [1]**، وتلك المنزلة العظيمة تستوجب حسن التخاطب مع العلماء بوجه خاص، وهو مادل عليه الذكر الحكيم في قصة موسى عليه السلام مع الرجل الصالح – الخضر –في سورة الكهف واشتملت على جملة من الآداب منها:**

١–التلطف في سؤالهم دون إلحاح عليهم ولا إلزام.

قال تعالى:﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا (٦٥) قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾(الكهف: ٦٥،٦٦)

قال ابن كثير: (يخبر تعالى عن قيل موسى، عليه السلام لذلك الرجل العالم، وهو الخضر، الذي خصه الله بعلم لم يطلع عليه موسى، كما أنه أعطى موسى من

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب العلم، باب: ما جاء في فضل العلم على العبادة، من حديث أبي الدرداء، رقم(٢٦٨٢)، ٤٨/٥. وصححه الألباني، في صحيح وضعيف الجامع الصغير، برقم(١١٢٤٣)

العلم ما لم يعطه الخضر،﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ ﴾سؤال بتلطف، لا على وجه الإلزام والإجبار. وهكذا ينبغي أن يكون سؤال المتعلم من العالم.) [1]

وقال الشوكاني: "في هذا السؤال ملاطفة ومبالغة في حسن الأدب؛ لأنه استأذنه أن يكون تابعا له على أن يعلمه مما علمه الله من العلم ...وفي الآية دليل على أن المتعلم تبعٌ للعالم وإن تفاوتت المراتب، وليس في ذلك ما يدل على أن الخضر أفضل من موسى، فقد يأخذ الفاضل عن الفاضل، وقد يأخذ الفاضل عن المفضول إذا اختص أحدهما بعلم لا يعلمه الآخر) [2].

٢-التواضع ولين الجانب لهم:

وفي تفسير الآية السابقة قال أبو حيان [3] **(وفي هذا دليل على التواضع للعالم، وفي هذه القصة دليل على الحث على الرحلة في طلب العلم وعلى حسن التلطف والاستنزال والأدب في طلب العلم)** [4]

٣-ومن آداب التخاطب مع أهل العلم الثناء عليهم بما فيهم من الخصال الحميدة:

استدل العلماء من قول صاحِبَيْ السجن ليوسف عليه السلام: ﴿ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (يوسف:٣٦) على الثناء على العالم بشيء مما عنده من الصفات الحميدة.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣/٩٧)

(٢) فتح القدير، للشوكاني،(٣/٢٩٩).

(٣) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي المصري النحوي الأثري، شيخ البلاد المصرية والشامية ورئيسها في علم العربية ولد في غرناطة سنة ٦٥٤هـ، له الكثير من المؤلفات من أهمها: إتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب، و تفسير البحر المحيط، توفي في القاهرة سنة ٧٤٥هـ . انظر: شذرات الذهب (٦/١٤٥)، طبقات الشافعية (٩/٢٧٧).

(٤) البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم لأبي حيان الأندلسي (١٨/١٩٩) تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية – الطبعة الأولى (١٤٣٦هـ -٢٠١٥م)

قال السعدي: (وقولهما:﴿ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾أي: من أهل الإحسان إلى الخلق، فأحسن إلينا في تعبيرك لرؤيانا كما أحسنت إلى غيرنا، فتوسلا ليوسف بإحسانه) [1]

٤-ترك مجادلتهم بغير علم:

وذلك لأنّ الجدال بغير علم مذموم على كل حال، ومن باب أولى ذم مجادلة العلماء لقوله تعالى:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴾ (الحج: ٣)

وهذه الآية نزلت في النضر بالحارث إلا أنها تدل على ذم كل مجادل بغير علم

قال الطاهر بن عاشور: "﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾، فيكون المراد فريق المعاندين المكابرين الذين يجادلون في الله بغير علم بعد أن بلغهم الإنذار) [2].

(١) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، (٣٩٨/١).
(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ١٥٠/١٧.

المبحث الثالث: آداب التخاطب مع عامة الناس وثمار التحلي بها،

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: آداب التخاطب مع العامة:

في هذا المطلب بيان لجملة من آداب التخاطب التي وردت في كتاب الله في مواضع متفرقة منها:

أولاً: أن يكون الخطاب بأجمل الألفاظ وألطف العبارات عملاً بقوله تعالى:

﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾(الإسراء:٥٣)

قال الإمام الطبري: في تفسير قوله تعالى:﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد ﷺ وقل يا محمد لعبادي يقل بعضهم لبعض التي هي أحسن من المحاورة والمخاطبة)[(١)].

وقال ابن كثير: (يأمر تعالى عبده ورسوله ﷺ أن يأمر عباد الله المؤمنين أن يقولوا في مخاطباتهم ومحاوراتهم الكلام الأحسن والكلمة الطيبة، فإنهم إن لم يفعلوا ذلك نزغ الشيطان بينهم وأخرج الكلام إلى الفعال ووقع الشر والمخاصمة والمقاتلة) [(٢)].

وكذلك قوله تعالى﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ (البقرة:٨٣).

أورد القرطبي في تفسير هذه الآية أقوالاً كثيرة منها: (قولوا لهم الطيب من القول، وجازوهم بأحسن ما تحبون أن تجازوا به، وهذا كله حض على مكارم الأخلاق، فينبغي للإنسان أن يكون قوله للناس ليناً ووجهه منبسطاً طلقاً مع البر والفاجر،

(١) جامع البيان، للطبري، ١٠٢/١٥.
(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير،(٤٦/٣).

والسني والمبتدع، من غير مداهنة، ومن غير أن يتكلم معه بكلام يظن أنه يرضي مذهبه) [1].

ثانياً: السداد في القول على كل حال:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (الأحزاب : ٧٠)

قال ابن كثير: (أي: مستقيما لا اعوجاج فيه ولا انحراف)[2]**.، ويقرب منه قول بعض المفسرين سديدا: صواباً ، أو عدلاً، أو صدقاً، ولا منافاة بين جميع الأقوال بل الجمع بينها ممكن وهو الأولى.**

وقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ (الفرقان: ٦٣).

ثالثاً: مقابلة الإساءة بالإحسان:

قال تعالى:﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾(فصلت: ٣٤)

قال السعدي: (فإذا أساء إليك مسيء من الخلق، خصوصًا من له حق كبير عليك، كالأقارب، والأصحاب، ونحوهم، إساءة بالقول أو بالفعل، فقابله بالإحسان إليه، فإن قطعك فَصِلْهُ، وإن ظلمك، فاعفُ عنه، وإن تكلم فيك، غائبًا أو حاضرًا، فلا تقابله، بل اعفُ عنه، وعامله بالقول اللين. وإن هجرك، وترك خطابك، فَطَيِّبْ له الكلام، وابذل له السلام، فإذا قابلت الإساءة بالإحسان، حصل فائدة عظيمة) [3].

رابعاً: مواجهة المخاطب عند التحدث معه وعدم الإعراض والتشاغل عنه:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ١٠/ ٢٧٧.
(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٥٢٢/٣).
(٣) تيسير الكريم الرحمن (٧٤٩/١)

قال تعالى:﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (لقمان:١٨) وهذه إحدى وصايا لقمان الحكيم لابنه، واستنبط المفسرون هذا الأدب منها

قال القرطبي: (معنى الآية: ولا تمل خدك للناس كبرا عليهم وإعجابا واحتقارا لهم، وهذا تأويل ابن عباس وجماعة،... فالمعنى : أقبل عليهم متواضعا مؤنسا مستأنسا، وإذا حدثك أصغرهم فأصغِ إليه حتى يكمل حديثه، وكذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل)[1].

خامساً: حسن الرد على السائل والمسكين وذي الحاجة:

﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى ۗ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾(البقرة:٢٦٣)

قال السعدي:(أي: تعرفه القلوب ولا تنكره، ويدخل في ذلك كل قول كريم فيه إدخال السرور على قلب المسلم، ويدخل فيه رد السائل بالقول الجميل والدعاء له) [2].

ويدل كذلك على هذا المعنى قوله تعالى:

﴿ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾(الإسراء:٢٨)

والقول الميسور هو القول اللطيف اللين المتضمن الوعد بالعطاء عند حصول الرزق من الله تعالى قال القرطبي: "وهو تأديب عجيب، وقول لطيف بديع، أي لا تعرض عنهم إعراض مستهين عن ظهر غنى وقدرة فتحرمهم، وإنما يجوز أن تعرض عنهم عند عجز يعرض، وعائق يعوق، وأنت عند ذلك ترجو من الله فتح باب الخير، لتتوصل به إلى مواساة السائل، فإن قعد بك الحال" فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُوراً" أي لينا لطيفا. ولقد أحسن من قال:

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ١٤/٧٠.
(٢) تيسير الكريم الرحمن (١/١١٣)

إلا تكن ورقٌ يوماً أجود بها*للسائلين فإني لين العـودِ [١]**

لا يعدم السائلون الخير من خلقي ***إما نوالي وإما حسنِ مردودِ" [٢]

سادساً: مناداة المخاطب بما يحب من الأسماء وترك التنابز بالألقاب.

منـاداة المخاطـب باسـمه أو بكنيتـه ومـا يحبـه مـن الـصفات مـن أسـباب تـآلف القلوب وحصول المودة، وعلى العكس من ذلك التنابز بالألقاب السيئة التي يكرهها المخاطب يورث العداوة والبغضاء.

قال الشاعر يصف حسن عشرته لصاحبه وجليسه

أكنيه حين أناديه لأكرمه ... ولا ألقبه والسوءة اللقبا[٣]

والمعنى: إذا خاطبتُه خاطبتُه بأحب أسمائه إليه، وهو الكنية، وأعدل عن نبزه ولقبه. [٤]

ولذلك نهى المولى سبحانه عن التنابز بالألقاب قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (الحجرات: ١١)

ومعنى ﴿ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾: لا يخاطب أحدكم غيره بالألفاظ التي يكرهها، بأن يقول له يا أحمق، أو يا أعرج، أو يا منافق أو غير ذلك من الألقاب السيئة

(١) في لسان العرب فصل الراء حرف الدال (٣/ ١٥٤) بدون نسبة ، وعزاه ابن قتيبة الدينوري في الشعر والشعراء لمحمد بن يسير ص:(٦٠٨).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/٢٤٨)

(٣) البيت لبعض الفزاريين انظر: خزانة الأدب، لعبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: محمد نبيل طريفي، أميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م ٩/ ١٤١.

(٤) المزهر في علوم اللغة والأدب، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ١/٢٧٣.

التي يكرهها الشخص، ولفظُ اللّقب كانَ يُطلَقُ عند العرب على ما يقصد به المدح، وعلى ما يقصد به الذم، والمراد بالألقاب هنا: الألقاب المكروهة بقرينة "ولا تنابزوا " ويصدق النهي عن المناداة باللقب المكروه سواء كان ملقباً به صاحبه أم اخترعه له النابز له) (١).

سابعاً: اللين في الخطاب وعدم الغلظة:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران:١٥٩)

بين المولى سبحانه وتعالى لنبيه الكريم أنّ الرحمة التي جعلها الله في قلبه واللين مع أصحابه سببٌ لتأليف قلوب الناس واتباعهم له، ولو كان على غير تلك الصفات لتفرق الناس من حوله ونفروا عنه، وما أحوجنا للتخلق بأخلاقه الحميدة، وأولى من ذلك ترك السباب واللعان والأقوال البذيئة، وقد تقدم تفسير ابن كثير رحمه الله للآية، وخلاصته: لو كنت سيئ الكلام قاسي القلب عليهم لانفضوا عنك وتركوك، ولكن الله جمعهم عليك، وألان جانبك لهم تأليفاً لقلوبهم) (٢).

ثامناً: أن يكون مضمون الخطاب مفيداً نافعاً:

ينبغي أن يكون محتوى الخطاب وفحواه فيما فيه فائدة كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله تعالى وغير ذلك مما لا ضرر فيه، ويتعين تركه إذا تضمن التخاطب ما ورد النهي عنه شرعاً كالغيبة والنميمة والسخرية والتناجي بالإثم العدوان، والآيات الدالة على ذلك كثيره منها قوله تعالى: ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء:١١٤)

(١) انظر : التحرير والتنوير، لابن عاشور،(٢٠٧/٢٦).
(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤٢١/١).

قال السعدي (أي: لا خير في كثير مما يتناجى به الناس ويتخاطبون، وإذا لم يكن فيه خير فإما لا فائدة فيه كفضول الكلام المباح، وإما شر ومضرة محضة كالكلام المحرم بجميع أنواعه) (١)

وقوله تعالى: ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (المجادلة:٩)

ترشد الآية الكريمة المؤمنين أن يجعلوا حديثهم فيما بينهم، قائماً على الخير لا على الشر، وعلى الطاعة لا على المعصية، وعلى البر والتقوى لا على الإثم والعدوان.

وجاء النهيُ عن الجلوس في المجالس التي تتضمن الخوض في آيات الله وفيما لا يجوز التحدث فيه بقوله تعالى:﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنعام:٦٨)

والمراد: إذا رأيت أيها النبي الكريم، أو أيها المؤمن العاقل، الذين يخوضون في آياتنا بالتكذيب والطعن والاستهزاء فأعرض عنهم، وانصرف عن مجالسهم، ولا تعد إلى مجالسهم حتى يخوضوا في حديث غيره، والخطاب موجهٌ للنبي ﷺ ويدخل فيه المؤمنون معه، فعِلَّةُ النهي هي سماع الخوض في آيات الله، وذلك يشمل الجميع)(٢).

تاسعاً: عدم خضوع النساء بالقول عند مخاطبة الرجال:

قال تعالى﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾(الأحزاب:٣٢) ومعنى ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ ﴾لا تلن القول عند مخاطبة الرجال كما تفعله المريبات من

(١) تيسير الكريم الرحمن (٢٠٢/١).
(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٢/٧)، والوسيط في تفسير القرآن، لسيد طنطاوي(٩٨/٥).

النساء والنهي عن الخضوع بالقول إشارة إلى التحذير مما هو زائد على المعتاد في كلام النساء من الرقة وترخيم الصوت، أي ليكن كلامكن جزلاً)[1].

عاشراً: إحسان التخاطب والحوار مع غير المسلمين:

لا شك أنّ الآيات السابقة تدل بعمومها على حسن التخاطب مع جميع الناس مسلمهم وكافرهم برهم وفاجرهم، ولتأكيد ذلك جاء الأمر بحسن التخاطب والمحاورة مع غير المسلمين في عدد من الآيات مثل قوله تعالى:﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾(العنكبوت:٤٦)

﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل:١٢٥)

قال ابن كثير: "أي من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال، فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب، كقوله تعالى:﴿و وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ الآية (العنكبوت:٤٦)" [2]

والموعظة كذلك ينبغي أن تكون بالقول اللين والأسلوب الجميل؛ فذلك أدعى لقبولها والانتفاع بها. قال الطاهر ابن عاشور" (أرشد الله رسوله أن يتوخّى في الموعظة أن تكون حسنة، أي: بإلانَة القول وترغيب الموعوظ في الخير، قال تعالى خطاباً لموسى وهارون:﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ (طه: ٤٣،٤٤)[3].

(١) انظر فتح القدير، للشوكاني،(٢٧٧/٤) و والتحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢٤١/٢١.
(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٥٩٢/٢).
(٣) التحرير والتنوير، لابن عاور (٢٦٤/١٣).

المطلب الثاني: ثمار التحلي بآداب التخاطب:

بالرجوع إلى الآداب التي وردت في ثنايا البحث نجد أنّ هناك الكثير من الفوائد المكتسبة، والثمار المقتطفة من التحلي بآداب التخاطب، ولعل من أهم تلك الثمار:

أولاً: صلاح الأعمال وغفران الذنوب والفوز بمرضاة الله سبحانه وتعالى، والنجاة من عقابه.

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾(الأحزاب: ٧٠،٧١)

قال ابن كثير: (يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين بتقواه، وأن يعبدوه عبادة من كأنه يراه، وأن يقولوا (قولا سديدا) أي: مستقيما لا اعوجاج فيه ولا انحراف. ووعدهم أنهم إذا فعلوا ذلك، أثابهم عليه بأن يصلح لهم أعمالهم، أي: يوفقهم للأعمال الصالحة، وأن يغفر لهم الذنوب الماضية، وما قد يقع منهم في المستقبل يلهمهم التوبة منها، ثم قال:﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾وذلك أنه يجار من النار، ويصير إلى النعيم المقيم) (١).

وأخرج الشيخان عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أن النبي ﷺ ذكر النار فأشاحَ بوجهه فتعوذ منها، ثم ذكر النار فأشاحَ بوجهه فتعوذ منها، ثم قال: « اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة» (٢).

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٥٢٢/٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، باب: اتقوا النار ولو بشق تمرة، من حديث عدي بن حاتم، برقم(١٣٥١) ٥١٤/٢، ومسلم في صحيحه، من حديث: عدي بن حاتم، باب: الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار، برقم(١٠١٦)، ٧٠٣/٢.

ثانياً: حسن التخاطب مع الوالدين ضربٌ من ضروب الإحسان إليهما ومن برهما بجميل الفعال وحسن المقال، وما يترتب على ذلك من إدخال السرور عليهما، والثواب العظيم عند الله تعالى.

ثالثاً: يترتب على إحسان التخاطب مع ولاة الأمور: صلاح الحال بين الراعي والرعية وتبادل المحبة والولاء بين الجميع.

رابعاً: بحسن التخاطب مع العلماء يستفاد مما عندهم من العلوم والآداب.

خامساً: زوال الشحناء والبغضاء التي تحدث بين الناس بسبب سوء التخاطب فيما بينهم.

فحسن الخلق وحسن التخاطب من أسباب إزالة العدوات وحصول الألفة والمحبة بين الناس،

سادساً: بالخطاب الحسن يكون كسب قلوب المخاطبين، وإشاعة روح المحبة والألفة بين الناس.

قال تعالى:﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾(فصلت: ٣٤)

سابعاً: قبول الموعظة والانتفاع بها يتوقف على كيفية إلقائها عليهم:

قال تعالى:﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ... ﴾ (النحل: ١٢٥)

وقال سبحانه:﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾

(طه: ٤٣،٤٤).

ثامناً: تأدب النساء بآداب التخاطب عند التحدث مع الرجال، ولزومهن هذا الأدب يكون لهن بمثابة السياج، والوقاية من شرور الذين في قلوبهم مرض لقوله

تعالى:﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾(الأحزاب: ٣٢)

تاسعاً: نشر الدين الإسلامي وترغيب غير المسلمين بالدخول في الإسلام يكون بإحسان التخاطب والحوار معهم، وقد وصف الله نبيه ﷺ بذلك فقال سبحانه:﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (آل عمران: ١٥٩)

فحسن الخطاب وإلانة القول من مفاتيح القلوب الغافلة، ومن لم يتنبه لتلك الآداب قد يفسد أكثر مما يصلح ويكون سبباً لإعراض الناس عن دين الله.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

أولاً النتائج: بعد تمام هذا البحث بعون الله تعالى وتوفيقة خلص الباحث إلى النتائج التالية:

١-عناية الذكر الحكيم ببيان آداب التخاطب مع الخلق وأهميتها.

٢-أرشدت الآيات الكريمة إلى التأدب بآداب التخاطب مع الرسول ﷺ في حياته، وبعد وفاته وذلك بالتأدب مع هديه وسنته المطهرة، والصلاة والسلام عليه في كل آن وحين.

٣-الوالدان أحق الناس بحسن الخطاب ولين الكلام والكريم من الأقوال وجميل الفعال.

٤-أكدت الآيات الكريمة على التأدب عند مخاطبة ولاة الأمور والعلماء وأهل الفضل، كما أرشدت إلى التأدب بآداب التخاطب مع جميع الخلق.

٥-الأمر بحسن التخاطب مع غير المسلمين فيه دليلٌ على عظمة هذا الدين وحب الخير للعالمين. ٦-دلت الآيات على حصول ثمار عظيمة وآثار حميدة للتأدب بآداب التخاطب.

ثانياً التوصيات:

١-تضمين آداب التخاطب والحوار في مناهج التعليم في المراحل الدراسية الأساسية والثانوية والجامعية.

٢-دعوة الخطباء والمرشدين لتبني توعية المجتمع بتلك الآداب.

٣-تطبيق آداب التخاطب عملياً من قبل: الدعاة والمعلمين والمرشدين والآباء؛ لإعطاء القدوة الحسنة للطلاب وبقية شرائح المجتمع.

والحمد لله رب العالمين

قائمة المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. أحكام القرآن، لابن العربي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت
٣. أسد الغابة، لابن الجزري، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ -١٩٩٦م
٤. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين الشنقيطي، تحقيق: مركز البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٥هـ -١٩٩٥م
٥. الإمام الشوكاني حياته وفكره لعبد الغني قاسم الشرجبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٠٨هـ - ١٩٨٨م
٦. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لأبي بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة
٧. البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم لأبي حيان الأندلسي تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية — الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ -٢٠١٥م
٨. البداية والنهاية، لابن كثير
٩. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن الرابع، للشوكاني، مطبعة دار السعادة، القاهرة، ١٣٤٨هـ.
١٠. تاج العروس، لمحمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
١١. التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، . بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م
١٢. تحفة الاحوذي، لمحمد عبد الرحمن المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت
١٣. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
١٤. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لسيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة الطبعة الأولى [١٩٩٧ / ١٩٩٨م
١٥. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

١٦. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ
١٧. خزانة الأدب، لعبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: محمد نبيل طريفي، أميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م
١٨. ذيل طبقات الحفاظ، للسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت
١٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تأليف: العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي بيروت
٢٠. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، لشمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة، ١٢٨٥هـ
٢١. سنن الترمذي، لأبي عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت
٢٢. الشعر والشعراء، لابن قتيبة الدينوري،
٢٣. صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م
٢٤. صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير واليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، باب: وفد بني تميم
٢٥. صحيح مسلم في صحيحه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي
٢٦. صحيح وضعيف الجامع الصغير، لمحمد ناصر الدين الألباني،
٢٧. علماء نجد خلال ثمانية قرون لعبد الله بن عبد الرحمن آل بسام الطبعة الثانية، دار العاصمة الرياض ١٤١٩ هـ
٢٨. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الفكر، بيروت.
٢٩. القاموس المحيط، للفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت(١/٧٥).

٣٠. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت
٣١. لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.
٣٢. مدارج السالكين، لابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ -١٩٧٣م
٣٣. المزهر في علوم اللغة والأدب، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ -١٩٩٨م
٣٤. المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ -١٩٩٠م
٣٥. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.
٣٦. مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م(١/٧٤).
٣٧. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ